وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الآداب
قسم الجغرافية

الازدواجية والتكامل بين الجغرافية العامة والجغرافية الإقليمية في الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر

(دراسة في الفكر الجغرافي)

أ. م. د. سلام سالم عبد
م. د. هاتف لفته فتين

٢٠١٧م
١٨٣٥هـ

الملخص :

إن الجغرافية أصلا كعلم وبحكم طبيعتها ومناهج وأساليب البحث فيها تعتمد على نتائج دراسات عدة من العلوم الأخرى بخلفيات تلك العلوم المختلفة(الطبيعية والبشرية)لذا فان هذا الائتلاف المعقد من المعلومات والبيانات يفرض عليها أيجاد واستخدام أفضل المناهج من اجل التعامل معها والخروج بأفضل النتائج الممكنة ، مما فرض واقع الثنائية أو الازدواجية في بين ما يعرف بـ(الجغرافية الموضوعية العامة)و (الجغرافية الإقليمية الخاصة)على إن الواقع يشير إلى إن هذين المدرستين تمثلان الوحدة والتكامل والسير في الدراسة بخط متوازي لا يمكن لهما التقاطع فطبيعة تناول موضوعاتها تفرض عليها التوحد لا التضاد لذا فإن التيار الصحيح في الجغرافية هو اعتبار كلتا الظاهرتين(الطبيعية والبشرية)متكاملتين ومتداخلتين مع بعضهما البعض لتكوين مظاهر السطح المختلفة وان أحسن ما يحقق مثل هذه النظرة هو دراسة الموضوع على مستوى المنهج الإقليمي على إن هذا لا يعني نقض المنهج العام في الدراسة ، فكما إن الظاهرات الطبيعية والبشرية متكاملة كذلك المنهجين العام والإقليمي متكاملان إذ إن كلا منها يؤدي دورا في دراسة وتعزيز الأخر فاغلب الدراسات الجغرافية التي تبدأ بالمنهج العام تنتهي بالمنهج بالإقليمي والعكس بالعكس ، إي تلك التي تبدأ بالمنهج بالإقليمي تنتهي بالمنهج العام .

Duality and Integration in the Modern and Contemporary Geographical Thinking of General and Regional Geography

Dr. Salam Salim Abed **Dr. Hatif Lefah Al-Juboory**

ABSTRACT

Basically, geography as a science and according to its nature and methodologies of research depends on the results of other sciences of different backgrounds (human and natural). This complicated mixture of information and data imposes on geography to use and find the best of its methods to come out with possible results. Based on this, duality is imposed on (general objective geography) and (special regional geography), but, in reality, these two trends represent unity, integration and they are paralleled and can't be intersected. The nature of tackling their topics makes them unified rather than contradiction. The right current of geography is to consider (natural and human) phenomenon are integrated and engaged with each other to form various surface phenomenon.In order to achieve this objective, we have to study the topic within the regional level. But it does not mean to undermine the approach of the study. As the human and natural phenomenon are integrated as the integration of the general and regional approaches. Each one of them has its role in the studying and enhancing the other. Most of the geographical studies that started with the general approach end with the regional approach and vice versa; the one starts with the regional approach ends with the general one.

المقدمة :

لقد نشأ الفكر الجغرافي منذ القدم بل مع نشأة الإنسان فوق سطح الأرض فتوسعت مداركه مع توسع المساحة التي بداء يستكشفها ، ومنذ ذاك الحين والجغرافية شانها شئن بقية العلوم الأخرى في خوضها مراحل النمو والتطور وأخيار طرق وسائل تحقيق الأهداف ، فتعددت المناهج المتبعة في ذلك مع تطور المراحل والحاجات فما كان من أمرها إلا إن تمر بأوقات الاختلاف والائتلاف على مستوى موضوعات الدراسة والمناهج المتبعة في ذلك ، فكان موضوع الازدواجية والتكامل بين مدرستي الجغرافية العامة والجغرافية الإقليمية في الجغرافي وأي منها قد يحقق الهدف الأسمى من أكثر هذه المواضيع تداولا بين الماضي والحاضر من هنا انطلق البحث في محاولة منه لتتبع المحطات ألمهمة في ذلك فتبين إن لكلا المدرستين شان مهم ورئيس لا يقل بل هما الظهير العلمي والفلسفي الذي لا غنى عنه عند الأخر.

البحث : رغم إن المعرفة الجغرافية تمتد لمئات السنين إلا إن لمحتوى الدراسات الجغرافية ومضمونها كثيرٌ من التجاذب بين الدارسين ، لعل من أهما الازدواجية والتكامل بين الجغرافية العامة(الطبيعية)والجغرافية الإقليمية (البشرية)في كون أي منهما يمثل المسرح الأوفى للبحث الجغرافي في ظل المتغيرات الكثيرة و المتسارعة على جميع الأصعدة والمستويات ضمن الاختصاصات والمواضيع من جهة ، والحدود العامة والإقليمية والتقارب أو حتى التداخل مع بقية العلوم من جهة أخرى .

فرضية البحث : اعتبار كلا المسارين الجغرافيين ضمن الجغرافية العامة(الطبيعية)والجغرافية الإقليمية (البشرية)مكملان لبعضهما الأخر ويقعان خارج حدود التناقض أو حتى الازدواجية ، وذلك بوصفهما أحسن ما يحقق الترابط بين الظاهرات المدروسة سواء أكانت هذه الظاهرات طبيعية أو بشرية ، فدراسة الجغرافية الإقليمية لا تتناقض ابدآ مع الجغرافية العامة والعكس بالعكس ، بل إن لكلا المنهجين العام والإقليمي دوراً كبيراً يودي في النهاية دائما إلى دراسة الأخر ويعزز من شأنه .

أهداف البحث : لعل من ابرز الأهداف التي توخاها البحث في هذا المجال هو الكشف عن بعضُ من الملابسات التي كثيرا ما تقفز على الساحة الجغرافية لاسيما تلك المتمثلة منها بالحيز أو المجال الجغرافي الأدق للبحث والتقصي ، ورغم الإيمان المطلق بان الحقيقة الثابتة في كون إن الجدلية الجغرافية تكتسب زخمها المستمر من خلو هذا العلم القديم من الحقائق الثابتة الخاصة بها كالهندسة ونظريتها والرياضيات وقوانينها ، إلا أنها بالنهاية صفةُ نافعةُ في فهم كيفية الترابط والتفاعل وبالتالي تحليل العلاقات السببية لأية ظاهرة ذات قيمة على سطح الأرض باعتبارها ظواهر متغيرة باستمرار بتغير الزمان والمكان .

منهج البحث : اعتمد البحث على المنهج التاريخي أو المنهج ألنقلي الوثائقي في معالجة مشكلة البحث إذ يقتضي متابعة الظاهرة منذ نشأتها ومعرفة ما طرأ عليها من متغيرات على مر الزمن لذا لابد من معرفة متى ظهرت الظاهرة وكيف تطورت حتى بلغت شكلها الراهن وبذلك فان هذا المنهج يتبع في أية ظاهرة يريد الباحث دراستها ويصور الخلفية التاريخية لأي ظاهرة إنسانية أو وضيفيه يريد البحث فيها[1].

المبحث الأول

الفكر الجغرافي الحديث نشأته وتطوره

رغم إن المعرفة الجغرافية ذات أصول عريقة تعود إلى أقدم الحضارات الإنسانية ، ورغم إن الجغرافية كموضوع يزيد عمره على آلفي عام إلا أن الفكر الجغرافي الحديث هو وليد جهود فلاسفة الموضوع وخلاصة أبحاثهم للمائة سنة الأخيرة أو ما يزيد بقليل وان ما حدث من تطورات وتغيرات في مجالاته المتعددة خلال هذا القرن يفوق كل ما حدث عبر القرون العديدة السابقة من نشأته[٢].التي لا يهمنا منها سوى بضعة شواهد تاريخية هامة مثل(استرا بون)في العصر اليوناني و(البلخي)في العصر العربي الإسلامي و(فارنيوس)في منتصف القرن السابع عشر الميلادي[٣]. عندما نشر(برنار فارينيوس) مؤلفاته في منتصف القرن السابع عشر التي حاول بها بناء إطار جديد للمفهوم الجغرافي الذي ضمنه عرض كتاباته فقد عرف الجغرافيا بأنها(ذلك القسم من المعرفة الذي يتكون من مزيج من الرياضيات التي بها نتمكن من وصف الأرض وأقسامها بطرقة كمية)ثم قسم الموضوع بعد ذلك إلى قسمين (الجغرافية العامة)و(الجغرافية الإقليمية)الخاصة ، فإما العامة فهي ذلك العلم الذي يتناول دراسة الأرض بشكلها العام ويصف أقسامها والظاهرات التي تؤثر فيها باعتبار إن ذلك يرسي القواعد والقوانين العامة في الجغرافية التي تساعد على دراسة البلدان المختلفة ، وهي الدراسة التي تكون الجغرافية الإقليمية الخاصة ، وبهذه الفكرة يكون (فارنيوس)قد وضع الأسس الصحيحة و لأول مرة لعناصر الدراسة الجغرافية ولمهجي بحثا الرئيسيين المنهج العام والمنهج الإقليمي وتطبيقا لذلك فقد نشر المجلد الأول من جغرافيته وهو الجغرافية العامة عام(١٦٥٠)إلا إن وفاته المبكرة في سن أل(٢٨)سنة لم تساعده على نشر مجلده الثاني عن الجغرافية الخاصة ، لاسيما وقد نشر سابقاً دراسة إقليمية عن جغرافية وتاريخ اليابان ، قيل أنها كانت أحسن ما نشر عن تلك البلاد في وقته وبقي مؤلفة يعد الأهم للمائة عام التالية[٤].وفي خضم تجاذب الجو العلمي المشحون بين أهمية الإنسان أو أهمية الطبيعة ورغم واقع عدم التمييز بين الاثنين واعتبارهما متداخلتان ، إلا إن الفكر الجغرافي قد انجرف مع طغيان العمل الطبيعي في التعليل والتفسير ، فوصل ذروته على يد الفيلسوف الألماني(عمانوئيل كنت)(١٧٢٤-١٨٠٤)إذ أكد على أهمية دراسة الجغرافية الطبيعية وحدد مفهومها بين العلوم الأخرى ، لا بل اعتبرها تمثل الجغرافية العلمية الصرفة فيقول(لما كانت تجارب الإنسان محددة بالزمان والمكان فمن الضروري إن يستكمل الفرد معارفه ومعلوماته عن طريق تناقلها مع الغير بطريقتين قصصية(تاريخية)ووصفية(جغرافية)وان كلا من التاريخ والجغرافية موضوع وصفي الأول زماني والثاني مكاني ، وبسبب كون الجغرافية الطبيعية تمثل الإطار العام للطبيعة فإنها تشكل قاعدة الدراسة ليس للتاريخ وحسب بل لجميع الدراسات الجغرافية المحتملة الأخرى وميز بأن الدراسات الجغرافية التي تتبع من الجغرافية الطبيعية قد تكون جغرافية رياضية(كدراسة شكل الأرض

وحجمها وحركتها)إلا انه عاد وربط فلسفته هذه بين أهمية الدراسات الطبيعية العامة من جهة ، ووجود الإنسان على سطح الأرض من جهة أخرى ، فحول الدراسات الجغرافية من الجرد الموسوعي إلى مواضيع منسقة التنظيم ، فوقف بذلك الفكر الجغرافي على أعتاب الحداثة[٥].

رغم إن المعرفة الجغرافية واسعة وقديمة ورغم غزارة المعلومات وتدفقها ، إلا إنها لم تنسق أو تنظم في الأطر المنهجية العلمية العامة ، شانها في ذلك شان بقية العلوم فعاب عليها أصحاب الرأي ذلك وعملوا استطاعتهم في تحريرها من تبعية الخدمة والغرض للعلوم الأخرى ، وما فلسفة(كنت)ما هي إلا محاولة لرفع شانها وجعلها مناظرة لبقية العلوم وجزء من الكيان العملي التطبيقي النافع بعيدةً عن الوصف المجرد الجاف ، على إن هذا الواقع لم يتبلور ويتجه نحوا الاتجاه الصحيح ويبلغ ذروته إلا في القرن التاسع عشر وتحديدا في أواسطه على يد(الكسندر فون همبلت)و(كارل ريتر)الألمانيان اللذان تعد جهودهما في تطوير الفلسفة الجغرافية المنطلق الأول لوضع الفكر الجغرافي الحديث في قواعده الصحيحة فكلاهما انتقد الجمود الجغرافي وسطحيتها العقيمة ، استفاد(ريتر)و(همبلت)من البذور الأولى للجغرافية الحديثة التي أرسى قواعدها(كنت)في القرن الثامن عشر[٦].وبالتالي فان أية دراسة للفكر الجغرافي الحديث تهمل ذكرهما وذكر فلسفتهما تعد بالتأكيد دراسة غير ناضجة يشوبها النقص، كما يأتي:

أولا : الفكر الجغرافي الحديث عند(همبلت) :

ولد(الكسندر فون همبلت)في برلين(١٧٦٩-١٨٥٩)من عائلة سياسية ميسورة الحال ، أعدته إن يكون دبلوماسيا سفيراً إلا انه أولع بالعلوم الطبيعية و ظاهراتها ولعاً شديداً مع استمرار تدفق المعلومات والبيانات والحقائق الهائلة عن الظاهرات الطبيعية والبيولوجية والكيمائية عن سطح الأرض والمرافقة لحمى البحث التي ألقت الضوء على الكثير من التفاسير ضمن منظور القوانين الطبيعية والتي أمست مرساة التحليل والتعليل بما في ذلك السلوك البشري فغاب على أثرها ظل الكنيسة الذي كان يفئ على المجتمع الأوربي وتقلص لصالح طالب العلوم الطبيعية ، ناهيك عن كثرة انتشار الفلسفة الطبيعية في ألمانيا آنذاك وولعة بها مما دفعه إلى السفر والتجوال منذ أوائل العقد الثاني من عمره ، فزار انكلترا تبعتها زيارة علمية إلى سو يسره ، لكن أهم رحلاته هي تلك التي أخذته إلى العالم الجديد في عمر الثلاثين وذلك عندما زار المستعمرات الاسبانية في أميركا الجنوبية ، فقضى فيها خمسة سنوات تجول خلالها في منطقة(اللانوس) وتعرف على نهر(اورينوكو)وتسلق مرتفعات(الانديز الشمالية)وغيرها من جبال أميركا الوسطى ثم زار المكسيك وكوبا وفي كل ذلك كان يلاحظ ويجمع ويسجل ، ولدى عودته عام(١٨٠٤)رجع إلى فرنسا إذ قضى فيها أكثر من عشرين عاما نشر خلالها حصيلة جولاته العلمية ، عاد بعدها إلى برلين عام (١٨٢٧)ولكن ما لبث إن دعي من قبل قيصر روسيا لزيارة أواسط سيبيريا لتقصي مصادرها المعدنية فنشر أبحاثه عن أسيا الوسطى ، أما بقية الثلاثين عام من عمره فقد كرسها في كتابة سفره الذائع الصيت

(كتاب الكون)الذي أكمله قبل يومين من وفاته الذي أفصح فيه عن فلسفته فيقول(إن أهم غرض في دراسة العلوم الطبيعية هو التعرف على الوحدة الموجودة بين محتواها المتباين وإدراك جوهر الطبيعة الذي يرقد تحت غطاء مظاهرها الخارجية .... ويقول إن الطبيعة ليست مظهراً ميتاً)[٧].وبذلك فقد كان واسع المعرفة والدراية بعلوم كثيرة كالنبات والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء والتشريح والفسيولوجيا والتاريخ ، فكان من الطبيعي إن تقوده معارفه المتعددة الجوانب من جهة ورحلاته الطويلة من جهة ثانية إلى طرق باب الجغرافية الطبيعية للربط بين هذه المعارف على أساس تجريبي[٨].وجدير بالذكر إن(همبلت)وقبل سفره إلى روسيا وقبل صدور كتابه(الكون)قد امتدت لتشمل العالم بأكمله[٩].فهو أول من قسم المناطق التي ارتادها إلى أقاليم نباتية وقد طبع خرائط لهذه المناطق في أطلسه(الجغرافية الطبيعية عن القارة الجديدة) الصادر بين (١٨١٤-١٨١٩)والواقع إن لـ(همبلت)الفضل الفضل الكبير على الجغرافيين المعاصرين لأنه أمدهم بمعظم الرسوم التصويرية التي تجعل من دراساتهم دراسات عملية[١٠].من خلال هذا العرض الموجز عن حياة هذا العالم يمكن لنا إدراك ما مثلته الجغرافية الطبيعية ومنهجا العام في فلسفته والتي أفرزتها الظروف والإحداث التي عاشها وعاصرته وتأثر بها وأعطاها من الأهمية ما أعطاها بل صار معها يعد رائد الجغرافية الطبيعية وأبها الروحي ، ومع هذا وذاك وتأكيده المطلق للعلوم الطبيعية لاسيما الجغرافية الطبيعية ومنهجها العام التي أبدع فيها كثيراً ومال لها جل حياته إلا انه لم يهمل الجانب البشري في نهاية حياته ممثلة بكتاب(الكون)الذي يعد خلاصة علمه وأرائه نورد منها[١١].

أ- إن(همبلت)قد اعتبر إن الإنسان جزءا من الكون كما انه عنصر من عناصر التوازن في الطبيعة .

ب- إن دراسة الطبيعة تكون غير كاملة لو أنها لم تحتوي على صورة الإنسان ضمن إطارها ، وذلك لان الإنسان ورغم تعرضه لظروف التربة المناخ إلا إن محاولاته التخلص من سلطانها بتفكيره وتطور ذكائه ومرونة تنظيماته تجعله جزاً أساسيا من الكيان الحياتي لهذا الكوكب .

ج- إن إيمان(همبلت)بوحدة الطبيعة ، بما في ذلك الإنسان ناجم من اعتقاده بالترابط العضوي لجميع الظواهر وبان الأرض وما عليها وحدة عضوية متكاملة .

د- يجب إن تعالج إي ظاهرة سطحية من خلال علاقاتها وارتباطاتها المكانية(الطبيعية والبشرية).

ثانيا : الفكر الجغرافي الحديث عند(ريتر) :

ولد(كارل ريتر)في برلين(١٧٧٩-١٨٥٩)اتجه في بداية حياته نحو الجغرافية ليضع له أساسا لدراسة التاريخ ، لكن الجغرافية لم تلبث أن احتوته وانصرف إليها تماماً ونشر كتابه الأول(علم الأرض)الذي جعل منهُ أعظم جغرافي في عصره وأول أستاذ للجغرافية في العالم بجامعة برلين ، التي اعتمد فيها على المنهج التجريبي ، كما اخذ بمبدأ السببية الذي يقوم على التعليل والتفسير وقد دعا(ريتر)الجغرافية تبعاً لذلك بعلم الأرض بدلا من علم وصف الأرض[١٢].وذلك لان الجغرافية عنده لم تكن مجرد تجميع ووصف

للمعلومات والحقائق ولكنها تحاول إن ترد هذه المعلومات والحقائق إلى أصولها الجغرافية التي كانت سائدة في أواخر القرن الثامن عشر وتحويلها إلى حقائق متبعا المنهج الاستقرائي أما من حيث الشمول فقد جمع الفكر الجغرافي في هذه المرحلة بين الجغرافية الإقليمية والجغرافية العامة[١٣].وقد اعترف (ريتر)بان(همبلت)الذي كان يكبره بعشرة سنين بأنه أستاذه من نواحي عديدة ، إذ أعترف(ريتر)بحماس فقال انه لولا(همبلت)لما أمكن(لريتر)إن يحقق تلك الانجازات الكبيرة في دراساته[١٤].وقد كان جل طموح (ريتر)في إيجاد جغرافية إقليمية للعالم بالرغم من حياته الطويلة ألا أنها لم تسمح له بالمضي إلى أكثر من قارتي أفريقيا واسيا[١٥].بمعنى إن(ريتر)اتجه نحو المنهج الإقليمي وتحديدا المنهج البيئي داخل المنهج الإقليمي ، وذلك بدراسة العلاقات والترابط بين الظاهرات المختلفة داخل الإقليم الواحد ، وقد اهتم(ريتر) بدراسة الأرض باعتبارها معرضا لقوى الطبيعة ومسكناً للإنسان ومسرحا لنشاطاتهِ وأوضح إن الأرض والإنسان كليهما يؤثر في الأخر وانتهى في ذلك إلى إن تظل الجغرافية والتاريخ متلازمين ويصعب الفصل بينهما و بمعنى أخر إن(ريتر)أتجه نحو الجغرافية الإقليمية البشرية ، ولم تعد الجغرافية عنده مجرد جغرافية طبيعية فقط[١٦]. ومن خلال متابعة كتابات(ريتر)التي تعد مثالا لكتابات النصف الأول من القرن التاسع عشر يمكن لنا استنتاج عدة أفكار لعل من أهمهما[١٧].

أ- تقوم على أساس إن وضيفة الجغرافية تقوم على أساس تفسير الاختلافات المكانية لسطح الأرض طبيعيا وبشريا وهذا النوع لا يحلل الظاهرات منفردة أو منعزلة عن غيرها ولكن تُبحث وتُفسر من حيث ارتباطها مع التوزيعات المكانية الأخرى حتى تتوصل إلى شرح التركيب وتصويره وتفسيره .

ب- أكد على أهمية الإنسان نفسه على أساس انه مركز اهتمام الدراسات الجغرافية .

ج- في الوقت الذي أكد فيه(همبلت)على الجغرافية العامة ، أكد(ريتر)على الجغرافية الإقليمية .

والحقيقة إن أراء(هامبلت)في الجغرافية العامة الطبيعية و(ريتر)في الجغرافية الإقليمية الخاصة وأفكارهما في الحقيقة تكملان بعضهما الأخرى وتشكلان مجتمعتين منهجا متكاملا للجغرافية الحديثة ورغم الاختلاف في منهجيهما فان هذا الاختلاف لا يحمل معنى التضارب كما اخذ البعض يعتقد خاصة بعد ظهور الانشقاق بين الجوانب الطبيعية والبشرية في الدراسات الجغرافية بعد وفاتهما في نفس العام (١٨٥٩)على العكس من ذلك تماما بل إن منهجيهما يمثلان خطاً متكاملاً في الدراسة الجغرافية لا تزال تتبناه الدراسات المعاصرة ، وبوفاتهما انتهت مرحلة من مراحل ازدهار الفكر الجغرافي وانه بموتهما انتهت فترة الجغرافية الكلاسيكية الصحيحة التي سادت فيها المثالية بإشكالها المختلفة لذلك وضعا بحق حجر الأساس لعلم الجغرافية المعاصر[١٨].

ثالثا : الفكر الجغرافي بعد(همبلت) و(ريتر) :

إن صرح الجغرافية الذي عمق جذوره(همبلت/ريتر)ما لبث إن بدا بالتصدع والتهاوي لأسباب أهما[١٩]:

أ– لم يكن(همبلت)أستاذا جامعيا أي انه لم يترك بعده طلابا لتدريس فلسفته أو حتى تبنيها كما إن كتاباته لم تنشر بشكل منظم ومنسق بل كانت موزعة بين المنشورات الكثيرة ففقدت بذلك عنصر التأثير المباشر.

ب– رغم إن(ريتر)تقلد كرسي الجغرافي في الأكاديمية العسكرية الملكية إلا انه وبعد وفاته لم يعين بعده أي من إتباع طلابه أو أي من إتباع(همبلت)لثلاث سنوات وعندما ملئ كرسي التدريس كان للجيولوجين .

ج– انصراف الطلاب إلى الاهتمام بالأساتذة الجيولوجيين الجدد بل حتى من الذين تتلمذوا على يد(ريتر) مثل الفرنسي(اليزيه ركلوا)اظهر اهتماما بالغاً بالجغرافية الطبيعية تجلى ذلك بمؤلفه(الأرض)وبالغ آخرون بالجانب البشري .

د– نشر السير(تشارلس لأيل)كتاب(مبادئ الجيولوجيا)الذي أعطى أهمية متزايدة لإشكال سطح الأرض وتكوينها وتطورها فتزايد الاهتمام ثانياً بالجغرافية الطبيعية التي أمست أكثر من موضوع وصفي عابر .

هـ– نشر(تشارلس دارون)نظريته(النشوء والارتقاء)التي لوحت للجغرافيين ولغيرهم من أرباب العلوم الأنوار الخلابة للبيئة الطبيعية كعامل مهم وحتمي في تفسير ووجود وتوزيع الظوهر الحياتية على سطح الأرض.

إن الهبوط والتدني الذي كان بادياً في مستوى البحث الجغرافي بعد وفات(همبلت و ريتر)لم يدم طويلاً بسبب الجهود العلمية التي بذلها الجغرافيون الألمان لاسيما(فرديناند رتشهوفن)و(وفريدرك راتزل)إذ بذلا جهوداً أدت إلى الحفاظ على الجغرافية الألمانية ، والتي بدورها تصدرت الفكر الجغرافي العالمي طيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر[٢٠].فقد اتجهت الدراسات الجغرافية في عهدهما إلى الاهتمام بدراسة تركيب الأشكال الأرضية(الجيمورفولوجيا)غير إن ابرز معالم تطور الفكر الجغرافي جاء على يد(راتزل) في أواخر القرن التاسع عشر عندما نشر كتابه الأول في الجغرافية البشرية المعنون(انثروبو الجغرافية)عام (١٨٨٢)ثم اتبعه كتابه الثاني في الجغرافية السياسية ، ويمكن تلخيص أفكار(راتزل)وأرائه في الدراسات الجغرافية في اتجاهين أولاهما : انه وضع أساس الجغرافية البشرية وكانت معالجته لها على أساس أصولي عام لا إقليمي خاص مؤكدا بذلك إن الجوانب البشرية يمكن إن تخضع للدراسة الأصولية المنهجية شانها في ذلك شان الجوانب الطبيعية ، ويمكن القول إن(راتزل)استطاع إن يحرر الجوانب البشرية من المنهج الإقليمي ، إما الاتجاه الثاني تشديد(راتزل)في إخضاع الإنسان ونشاطه البشري لتأثيرات البيئة الطبيعية ، وبذلك كان الرائد الأول في إحدى مدارس التفكير الجغرافي وهي مدرسة ألحتم البيئي[٢١].وكان من ابرز أهداف(راتزل)هي(توطيد دراسة الجغرافية البشرية على أسس علمية مع بقائه مخلصا للاتجاه نحو العلوم الطبيعية أكثر بكثير من ريتر)أما برنامج(ريتشهوفن)للجغرافية وشرحه الكامل الذي تولاه(هتنر)فيما بعد فقد مهد الطريق لدراسات في الجغرافية الإقليمية مفسرةَ في ضوء نتائج الجغرافية الأصولية العامة ، ولم يكن هذا جيداً وجديداً في الجغرافية بل عودة إلى ما جاء به(همبلت)مع أنها قد

أهملت من قبل إتباع(ريتر)الذين درسوا الجغرافية الإقليمية مع اهتمام ضئيل بالجغرافية (الأصولية)[٢٢]. وقد استمر الجغرافيون الألمان في أواخر القرن التاسع عسر على دراسة العلاقات الحتمية بين الظواهر المختلفة في المكان ولقد رأى(ريتشهوفن)إن وحدة الحقل الجغرافي ناتجة عن الترابط العرضي لمختلف أنواع الظواهر وأكد(هتنر)شاته شان الآخرين ، إن الأساس في الجغرافية الإقليمية يقوم على تقديم لا بعض خصائص المكان ، بل الشخصية الكلية له كما يقررها التركيب المترابط لجميع معالمه الهامة ، وإن هناك ضروريات بل هناك إمكانيات والإنسان هو سيد هذه الإمكانيات ويختار منها ما يشاء ، وقد ظهرت نظريات أخرى في الجغرافية تفسر ذلك وان جميع هذه النظريات كان لها الأثر على التفكير الجغرافي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[٢٣].إن الاتجاه الطبيعي القوي في دراسة الجغرافية ، قد تغير فجأة كما يذكر(أيكرمان)واتخذ اتجاهاً جديداً وهو الجغرافية البشرية ، وقد صاحب هذا التغير دراسة العلاقات المكانية للظاهرات في بيئتها الطبيعية وخلال القرن العشرين استجد على الجغرافية مبدأ جديد يتلخص في الإمكانات غير إن هذا ظهور هذا المبدأ لا يعني انقراض المبدأ القديم ، إذ ظل معظم العلماء يعتنقون هذا المبدأ حتى النصف الثاني من القرن العشرين[٢٤].إما الامكانيون فقد نظروا إلى العلاقة بين الإنسان والبيئة بحذر وحيطة أكثر من الحتميين فلم يتطرفوا في تحميل الإنسان أكثر من طاقته بل أكدوا الوحدة الجغرافية وحاولوا إبراز جانبها البشري والطبيعي أولا ومن ثم النواحي البشرية المختلفة التي ترتبط وتتأثر وتؤثر في الجانب الطبيعي[٢٥].في خضم هذه التجاذب كان من الطبيعي إن تترك نظرية(دارون)(النشوء والارتقاء)بالغ الأثر سيما في تفكير(راتزل)الجغرافي فنرى لها تأثيرا واضحا في كل أعماله ففي كتابه(جغرافية الإنسان)درس توزيع التجمعات البشرية في مجال أنشطتها المختلفة والعوامل البيئية الطبيعية التي توثر في هذا التوزيع واثر البيئة المباشر على المجتمع ، فقد وجدت أفكار(راتزل)وأرائه صدى كبيرا وتأثير في كثير من الكاتب مثل(ألن سمبل)في أميركا و(ديمولان)في فرنسا وغيرهم من أصحاب فلسفة ألحتم الجغرافي الذين اعتنقوا نظريات(راتزل)في كتاباتهم ، فاندفعت(ألن سمبل)تؤكد ذلك بعزم وإصرار عندما إعادة كتابة كتاب(جغرافية الإنسان) بشكل أكثر تنظيما في عام (١٩١١)فقد قالت(إن الإنسان ابن البيئة التي تطعمه وتوجه أفكاره وتصنع الصعاب في طريقه ثم تهمس له في أذنه بالحل)وأننا(لن نستطيع إن ندرس الإنسان دراسة علمية بمعزل عن الأرض التي يقلها أو التي يدب عليها)و(هنكتون)الذي ألف مكتبة كاملة في دراسة حتمية البيئة الطبيعية والظاهرات البشرية ، وجدير بالذكر إن أراء(راتزل)ومن تبناها قد قوبلت بنقد مرير من علماء الانثروبولوجيا والاجتماع والتاريخ ومنهم (فيدال دي لابلاش)وقد انتهى هذا النقد ليمهد الطريق بالإيمان بان البيئة لا يمكن إن تستأثر بالسيطرة على الإنسان وعلى تفكيره وعقله وتوزيعه وأنماط حياته ولا يمكن إن يصبح الإنسان عبداً يأتمر بإشارة منها ، فليست المسالة هنا مسالة تكيف مع البيئة ومقدرته على استغلال مواردها والاستجابة لمطالبها حتى يحدث الانسجام التام بين عناصر البيئة ذاتها وبين الإنسان المستغل لهذه العناصر[٢٦].

المبحث الثاني

الازدواجية والتكامل بين الجغرافية العامة والجغرافية الإقليمية

أولا : الجغرافية العامة و الجغرافية الإقليمية:

اثأر(بوشر)في عام(١٨٢٧)السؤال حول طبيعة الجغرافية وتطورها التاريخي والدراسة الأكثر منطقية لموقعها فقال(إذا كانت الجغرافية تدرس إقليم العالم حسب الشخصية المتباينة لمحتوياتها من الظواهر حسب وجه نظر الجغرافية العامة(الأصولية)صنفا بعد صنف ، أو من الجهة الأخرى حسب وجهة نظر إمكانية كل منطقة في ضوء جميع ظواهرها المتغايرة ، فكيف يمكن لوجهتي النظر هاتين إن ترتبطا ببعضهما في حقل موحد للجغرافية)فقد اشتملت الجغرافية الحديثة منذ بدايتها على كلتا وجهتي النظر هاتين نظريا ، فقد مرت بتحولات بارزة في تأكيدها من نقطة على أخرى وبينما اشتمل عمل(همبولت)على كلتا وجهتي النظر هذه ، فان الدراسات الأصولية كانت تحت تأثير(ريتر)و(كنت)في مركزٍ ثانوي وتوارت بسهولة عن الأنظار[٢٧].فقد وجد(هتنر)إن الجغرافية الأصولية قي ألمانيا كانت تعد شياً أعلى وأكثر تميزاً من الجغرافية الإقليمية ، لذلك كرر الجمع الذي كان قد عرضه في أوقات مختلفة خلال ربع قرن تقريبا ليوضح إن كلا جزئي الحقل هما علميا بنفس المستوى وبعد عشرة ، أعوام تقدم بحجج مناقضة ليطالب بنفس الاستنتاج إن الشباب الميالين إلى المبالغة ابتعدوا أكثر من اللازم عن الجغرافية الأصولية[٢٨].أما(كرافت)فقد وجد من خلال بحثه النقدي للجغرافية بان إدخال وجهات النظر الأصولية والإقليمية كان شكلا لا ريب فيه من إشكال الثنائية فيستطيع المرء صرف تهمة ثنائية المحتوى عن الملامح الطبيعية والبشرية التي يمكن إن يعبر عنها باعتبارها تركيبة العلم ، وهو هنا يتفق مع(هتنر) فالجغرافية الأصولية ينبغي لها إن تشتمل على دراسة الحالات المنفردة التي تستعملها الجغرافية الإقليمية ، فهدف الجغرافية نفسه يكمن في كلا الفرعين على فهم التباين المكاني للأرض وان هذا الهدف لا يكمن إن يحل بالدراسات الأصولية وحدها أو بالدراسات الإقليمية وحدها بل يتطلب كلا المنهجين وبناءا على ذلك فان هذه الثنائية تبرر باعتبارها ضرورية للهدف الأوحد الذي يجعل الجغرافية علما واحداً ، وفي ذات المجال يقول(ليهمان)انه لا ينبغي التفكير إن دراسة الجغرافية الأصولية تعد كمنطقة حدود للجغرافيين أو أنها مجرد دراسة تمهيدية بل تمثل عضو حيوي لنمو الجغرافية وبدونها لا يمكن إن يوجد تاجها الإقليمي شانها في ذلك شان الشجرة بدون جذور، ويستطرد فيقول رغم إن وجه النظر التي تطورت في الجغرافية الأصولية مختلفة عن وجه النظر التي تطورت في الجغرافية الإقليمية لكنهما في نفس الوقت ذات قيمة كبيرة لها بحيث إن كل جغرافي إقليمي لابد له إن ينتج اعملا في بعض فروع الجغرافية الأصولية[٢٩].أن فلسفة(هتنر)في كون إن الجغرافي لا يستطيع إن يجد وحدة إي جزء معين من سطح الأرض بمجرد النظر إلى مظهره الخارجي ، وإنما بدراسة عناصر تكوينه وتفهم مكونات عناصره ويتحقق ذلك بالتعرف على

التكوين الجغرافي المعقد لمختلف النظم التي تكون ذلك الجزء ثم بإيجاد الترابط ألسببي الإجمالي لمختلف للظاهرات من ناحية أخرى وبالتالي فان ألخلاصه تشير إلى إن(هتنر)قد أعطى أهمية للدراسة الإقليمية شرط إن تستمد مادتها العلمية من الدراسات الأصولية[٣٠].أن فلسفة(هتنر)عن الإقليمية التي تأثر بتا (ليهمان)فيما بعد قد ترددت أصدائها في كتابات(شيز ولم)و(هربرتسون)و(مكاندر)في بريطانيا و(فنمان)و (ساور)في الولايات المتحدة الأمريكية بل وصلت هذه الأصداء إلى اليابان وكان(ماكندر)يرى إن الدراسة على أساس الأقاليم تعد اختبار أكثر دقة لمنطق المناقشة في الجغرافية[٣١].وذلك تماما ما عبر عنه (ماكندر)بقوله بأنه حان الوقت لان يوجه الجغرافيون اهتمامهم إلى دمج الحقائق الطبيعية والبشرية في صور إقليمية[٣٢].بالتالي فان الجدل العلمي لازال قائما حول طبيعة علم الجغرافية بصورة عامة والجانب الإقليمي منه على وجه الخصوص بسبب ماهية الأخير ووضعه بالنسبة لعلم الجغرافية[٣٣].ثم استمر الفكر الإقليمي يمثل ملمحا بارزا من ملامح الفكر الجغرافي حتى الوقت الحاضر[٣٤].وفي هذا الصدد يمكن اعتبار التمنية الإقليمية مثالا لهذا الوضع ، لأنه لما كان تطوير الجزء يودي إلى تطوير الكل فان التنمية الإقليمية تعد واحدا من مكونات عملية التنمية الكلية ومن ثم فإذا تحققت التنمية في إقليم ما من الدولة فان المحصلة النهائية التنمية الكلية في هذه الدولة من وجه النظر المكانية[٣٥].ولثبات النظرة على أهمية وموقع الجغرافية العامة باعتبارها المدرسة إلام ، سنركز بالدراسة هنا على الجغرافية الإقليمية.

ثانيا : الجغرافية الإقليمية بين الانتقاد و التأييد :

١- **المنتقدون للجغرافية الإقليمية :** إن فكرة الجغرافية الإقليمية والإقليم الجغرافي تدور منذ مدة طويلة في مجال الجدل العلمي فالإقليم الجغرافي يعد على هذا الأساس هو الهدف النهائي للجغرافية ، وقد تراوح هذا الجدل بين متضادين ، الأول يرى إن الإقليم الجغرافي موجود فعلا وان من واجب الجغرافي إن يبحث عنه وان يصفه ، والثاني يعده غير موجود ولا يعدو كونه إلا منهج بحث يساعد الجغرافي في دراسته[٣٦].ورغم كونها الجغرافية الإقليمية تهتم بقلب الإقليم وخصائصه وتبرر لما موجود فيه من اختلافات وتشابهات في محاولة منها لتفسيرها بطريقة منهجية مرتبة وذات قيمة كبرى بسبب المقارنات والعلاقات السببية[٣٧].إلا أنها استهدفت بسبب عدم الرضا عن الإعمال التي قام بها المختصون بالجغرافية الإقليمية فاتجه معها الكثيرون إلى التشكيك في مقدرة الأسلوب الإقليمي على إن يصبح بابا تخصصيا من الناحية الأكاديمية أو فرعا أصوليا من فروعها مثل علم الجيمورفولوجيا وعلم المناخ[٣٨].لذا برزت كثير من الآراء والمعتقدات المؤيدة للجغرافية الإقليمية والمعارضة لها لعلنا نورد أهم الأسباب التي دعت لمعارضة الجانب الإقليمي من الجغرافية في ما يأتي[٣٩]:

أ: إن كثير من الجغرافية يبدو ساذجا ، فإقليم(هربر ستون)الطبيعية مثلا لم تعد تصلح فيما يبدو كأساس كاف للمزيد من الدراسة رغم أنها كانت في وقتها تمثل تقدما عظيما في الجغرافية شانها في ذلك شان

غيرها من التقسيمات ، وكان نجاحها الحقيقي يكمن في استخدامه كبداية مناسبة لعمل تقسيمات تزداد فيها درجة الدقة بإضافة المزيد من العناصر التفصيلية .

ب: إن كثير من أبحاث الجغرافية الإقليمية يكتب بشكل ممل في سلسلة قد لا تكون مترابطة في الحقائق الخاصة بالظاهرات الطبيعية والبشرية دون الاهتمام العلاقة بين الطبيعية والإنسان إلا في حدود ضيقة .

ج: إن النجاح الكبير الذي لاقته دراسة بعض الإقليم كإقليم حوض باريس على سبيل المثال قد حمل بعض الجغرافيين على الاعتقاد بان أية منطقة يمكن تمييزها في الدراسة الإقليمية لابد وان تكون لها على اقل تقدير صفة الفردية بمعنى إن تكون لها شخصيتها الخاصة بها .

إن من ابرز المعارضين لفكرة الجغرافية الإقليمية هو(هارتسهورن)إذ قال إنه على الجغرافي أن يفهم العالم فهما دقيقا وليس من واجبه الجري وراء التقسيم الإقليمي ، لان ذلك يباعد بين الجغرافية وبين الدقة العلمية ، فالجغرافي الإقليمي يحاول خلق الإقليم خلقا ، واستطرد قائلا بأنه لا يوجد اتحاد في العناصر التي تتألف منها الأنظمة الشائعة للأقاليم ، فهذه كلها ما هي في الحقيقة إلا تعميميات وصفية لمقياس كمي لعنصر أو أكثر يتباين مكانيا بصورة مستقلة عن غيرة من العناصر، ومن ثم فإذا اختلفت العوامل في أهميتها النسبية فان إي تسلسل منطقي للأقاليم الرئيسة أو الفرعية سيتعارض مع الحقيقية ، لذا فان (هارتسهورن)يرى إن الجغرافي في محاولته في اللجوء إلى الطريقة الإقليمية فانه قد يجد نفسه مضطرا للتعميم وهي عودة في دراسة إلى الجغرافية الوصفية لمنطقة ما[٤٠].أما(شورلي)فيعتقد إن الدراسة الإقليمية ستكون غير قادرة على تحقيق هدفها المتمثل في إيجاد الترابط الحقيقي بين الظاهرات القائمة على سطح الأرض وسط خضم التطور الكبير الذي يشهده العالم الطريقة الإقليمية في الدراسة تركز على تحليل الروابط المكانية بين الإنسان وبيئته وهي التي تعطي العلاقة بين للإنسان والمنطقة التي يعيش فيها شخصيتها الفريدة المتميزة أي إقليما وان أي تبدل لنمط حيات السكان وخصائصهم ستكون غير ممثلة للتفاعل الإقليمي ، ويعتقد(شورلي)إن الدراسة الإقليمية لم تعد هدفا للجغرافية كما اعتقد(لابلاش)أكثر مما هي واسطة لحقيق هدف معين بل حتى فرنسا التي ولدت فيها إقليمية(لابلاش)لم تعد متحمسة لفكرة الإقليمية بسبب تشعب الموضوعات الطبيعية والبشرية التي تتطلبها الدراسات الجغرافية وهذا لا يتم إلا من خلال المنهج الأصولي العام[٤١].باعتبار إن الهدف من تقسيم المنطقة هو الوصول إلى أقسام مكانية أو أقاليم بحيث توضح في كل قسم منها عناصر البناء قيد الدراسة الجغرافية وما بينها من علاقات ثابتة وصلات متبادلة ، وكلما ازدادت درجة تعقيد العلاقات والصلات كلما ازدادت تفتيت المناطق المدروسة إلى وحدات اصغر وان العلاقات بين الظاهرات موجودة بصورة كامنة في المكان والجغرافي هم من يوقظها في ذهنه أولا وأذهان الآخرين بعد ذلك[٤٢].إذ إن المقاييس الإقليمية تعد اكبر مشكلة قد تواجه الفكر الإقليمي ، فالتباينات التي تبرز جدا هنا قد تكون ضئيلة ومتدرجة أو قد واسعة هنا وبمساحات صغيرة في مكان أخر لذ فان تصور الأقاليم ونشأتها تتبع من الدراسات الجغرافية الموضوعية فقط وليس

من الإقليمية ، فقد أثبتت التجربة إن الإقليم المعرفة على هذا الأساس هي الإقليم الأكثر فائدة في تحديد درجة التباين المشترك بين عدد من العناصر في الدراسات الموضوعية ، لذ يجب إن لا تكون فقرة الإقليمية مثار اهتمام الجغرافيين وحدهم لاسيما وان فكرة التقسيم الإقليمي في ميدان التخطيط الإقليمي بهدف تطوير منطقة ما عن طريق الإقليم التخطيطية أو الإقليم التنموية وتحقيق العدالة ضمن يعرف بالعدالة الإقليمية[٤٣].في حين نجد إن بعض الجغرافيين قد بالغو في انتقاد الإقليم والإقليمية أمثال(كمبل) الذي أنكر شرعية المفهوم الإقليمي عام(١٩٥٠)لان الإقليمية من وجهة نظره تنطبق على الماضي وعلى الأقاليم المتجانسة وحدها وغير محدودة بالحدود[٤٤].بل نجد إن بعض منهم قد أبدى أسفه لمل قد تناله الجغرافية الإقليمية من امتياز داخل الميدان الجغرافي بل اقترح بعضهم إخراجها من الجغرافية على أساس إن الجغرافية العامة وحدها هي القادرة على احتلال مكانها بصفتها علما وما الأقسام التخطيطية الكبرى في الدول إلا اطر مكانية لتحقيق التنمية[٤٥].خاصتنا إن التقسيم الإقليمي دخل مؤخرا في كثير من العلوم التي تعالج التوزيع المكاني على سطح الأرض مثل علوم البيئة النباتية وعلم التربة وعلم الاجتماع وعلم التاريخ الاقتصادي وعلم الزراعة بل إن هناك علما خاصا بالإقليم هو العلم الإقليمي[٤٦].

٢- **المؤيدون الجغرافية الإقليمية :** ترجع أهمية الجغرافية من الجانب الإقليمي إلى وجود علم الجغرافية ذاته ، فإذا كانت العوامل الموجودة في أية منطقة من مناطق سطح الأرض كظاهرات المناخ والظاهرات الجيمورفولوجية وأنماط التربة والنشاط الاقتصادي للسكان ومراكز العمران التي يستقرون فيها وهي ذاتها تقريبا في المناطق الأخرى لاقتصر هدف العلم على تحديد العلاقات المتداخلة بين هذا الخليط من العوامل المتنوعة التي أنتجت ذلك الغلاف الجغرافي الذي يكسي سطح الأرض في هذه المنطقة أو تلك أو مظهرها الأرضي العام دون اختلاف ، ولما كانت جميع مناطق سطح الأرض الذي يمثل مجال علم الجغرافية تختلف من مكان إلى أخر على هذا السطح مما يعني اختلاف بعض أجزاء هذا السطح عن البعض الأخر فان الإنسان يكون في ترقب وانتظار لمعرفة أسباب ما يمكن إن يتشابه من هذه الأجزاء المختلفة رغم تباعدها على إن التشابه التام أمرُ غير وارد الحدوث [٤٧].أن مؤيدي الإقليمية يرجون تحقيق عدة أهداف في الدراسات الجغرافية تعد بمثابة مبررات للدراسة الإقليمية لعل من أبرزها[٤٨].

أ- **سهولة الدراسة :** لقد أمست تفاصيل سطح الأرض(أي المجال الجغرافي)وعلاقاتها المتبادلة من التعقيد بحيث لم يعد ممكناً استيعابها وفهما بأكملها دفعة واحدة أو بصورة إجمالية في وقت واحد إلا إذا صغرنا في حجم هذه الدراسة إلى مستوى أجزاء هذا السطح الكبير ولو بدرجات متفاوتة العمق حسب حاجة الدراسة وقد يكون اختيار هذا الجزء (الإقليم)لذا على الجغرافي العام وهو يدرس ظاهرة ما في العالم فانه يقسم توزيعها على مناطق ليسهل عليه معالجتها

ب- **إظهار ارتباط الظاهرات الجغرافية :** يعد النهج الإقليمي متمم للمنهج الأصولي العام لأنه بدلا من معالجته للظاهرة الجغرافية معالجة منفصلة عن غيرها من الظاهرات الأخرى على المستوى العالمي أو

العام ، فانه يهتم بإظهار كيفية تفاعل وتداخل هذه الظاهرات داخل إطار مكاني محدد هو الإقليم ، ومما يدعم موقف المنهج الإقليمي ويؤكد صلابته إن العناصر المختلفة(الطبيعية والحيوية والبشرية)المؤلفة للبيئة لا تعمل بصورة منعزلة أو متعاقبة وإنما تترابط وتتفاعل وتتداخل في علاقات متداخلة بشكل معقد تحاول الجغرافية الإقليمية إظهاره وتفسيره .

ج- **تحقيق الفائدة التطبيقية** : فالجغرافي يستطيع إن يضيف إضافات ايجابية عند دراسته للمشاكل البشرية المعاصرة ، وذلك من خلال إلمامه بمختلف عناصر البيئة طبيعيا وحيويا وبشريا خاصة إذا تركزت هذه المشكلات في حيز مكاني مناسب لدراسة الإقليم فمطالب المجتمع في عالم سريع التغير تختلف في الدول المتقدمة عنها في الدول النامية فهي في الأول تتمثل في إعادة تنظيم البيئة الحضرية ومشكلات المدن والتوطن الصناعي وتخطيط مناطق الترويح وصيانة الموارد مع الاختلاف في التركيز على جانب أو أخر من هذه الجوانب من دولة إلى أخرى أما في الدول النامية فتتمثل هذه الفائدة في مشكلة إنتاج الغذاء وكيفية تنمية الموارد وضبط النمو السكاني .

إن من بين ابرز المؤيدين الأوائل للجغرافية الإقليمية هما(كنت)و(وهتنر)إذ اعتقدا إن الجغرافية تتفرد في منهجها وتختلف عن غيرها من العلوم لأنها تدرس الظواهر الفريدة إلا وهي(الأقاليم)فهدف الجغرافية هو وصف مناطق سطح الأرض وما عليها من ظاهرات ويبدو إن(هارتشون)قد أكد على وجه النظر هذه وتبناها ، فالطبيعة التفردية للجغرافية في رأى كل من(ولدردج)و(وايست)هي التي تمكننا من التطلع إلى الأقاليم من خلال منظورها الصحيح مع الأخذ بنظر الاعتبار ضرورة التمييز بين الأقاليم العامة غير الفريدة والأقاليم الخاصة الفريدة[٤٩].أما(هاريس)فقد أنكر وجود الجغرافية العامة التي تهتم بدراسة توزيع الظاهرات وأنماط هذا التوزيع ومن ثم فانه قد تتبع (ساور)في مناداته بان الدراسة الإقليمية يجب إن تكون محور اهتمام الجغرافي[٥٠].وفي رئي(جلبرت)إن هدف الجغرافية النهائي هو الإقليم ، وإن من واجب الجغرافي التعرف عليه وإظهاره وذلك عندما قال(بان الجغرافيا هي فن التعرف على الأقاليم ووصفها)[٥١]. وفي عام(١٩٣٠)قال(بومان)إن الجغرافية ذلك الموضوع الوحيد الذي يعطي تركيبا إقليميا بطريقة منظمة لان نظرية الأقاليم تعني تضافر عدد من الظاهرات على سطح الأرض بما يجعل بعض أجزائه مختلفة عن بعضها الأخر ، وبالتالي يصبح موضوع الجغرافية المحدد هو الأقاليم[٥٢].

ثالثا :الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر :

يجوز لنا هنا بعد ما تم عرضة من محطات رئيسة في الفكر الجغرافي إن نركن إلى تحديد ابرز المراحل التي تطورت من خلالها الجغرافية الحديثة العامة والإقليمية ، وعلى النحو الأتي[٥٣].

١- **المدة السابقة للكلاسيكية(١٧٥٠-١٨٠٠)م** : هي نواة لجميع الأفكار والمذهب المعاصرة كانت فيها الجغرافية (نفعية)إي أنها كانت وسيلة أكثر من كونها غاية فقد كانت(سندريلا التاريخ)أي تخدمه

بالتقديم والتفسير لبيان الخصائص الجغرافية لمواقع الإحداث التاريخية كما أنها كانت تدرس لفائدتها في الحكم والإدارة أو للمتعة العقلية .

٢- **المدة الكلاسيكية(١٨٠٠- ١٨٥٩)م** : وهي فترة(همبلت وريتر)ورغم الاختلاف إلا إن التشابه بينهما اكبر من ذلك وإذا كان(ريتر)يمتاز على(همبلت)بفكرة الشخصية الإقليمية التي لم يكن الأخير إلا تابع لها بها فان(همبلت)استخدم المقارنة التي لم يكن(ريتر)إلا مديناً له بها وقد يكون اهتمام(همبلت) بالإنسان بالنسبة للطبيعة اقل من اهتمام(ريتر)إلا أنهما اتفقا على مثالية وحدة العالم لضمان وحدة الجغرافية ضد الثنائية الزائفة بين الإنسان و الطبيعة .

٣- **المدة ما بعد الكلاسيكية(١٨٥٩- ١٩٠٤)م** : وتسمى فترة التيارات فبعد الفترة الكلاسيكية توجه الاهتمام إلى الجغرافية التاريخية بصفة عامة والجغرافية البشرية منها بصفة خاصة أي كانت نحو إقليمية (ريتر)وبعيدة عن البشرية تبعها التيار العلمي الذي يتفق مع روح العصر المادية ، ثم تيار الجغرافية الطبيعية وهي ردة فعل ضد تاريخية(ريتر)إلا أنها انحرفت عن الجغرافية إلى(الجيمورفولوجيا)وبالتالي زاد الاهتمام بالطبيعية وإهمال البشرية ، أي الاهتمام بالأصولية وإهمال الإقليمية مما ولد رد فعل عنيف ضد (الجيمورفولوجيا)تمثلت بالحركة(الانثروبو جغرافية)أي الإقليمية .

٤- **المدة المعاصرة(١٩٠٤- ١٩٨٠)م** : ومن خصائصها انحسار احتكار المدرسة الألمانية المطلق للجغرافية ، واختفت مثالية كانت(وحدة الوجود وتكامل الحقيقية)واستمرار الحركتين(الجيمورفولوجيا)و (الانثروبوجغرافية)والاهتمام الكبير بالدراسات الأصولية البشرية لاستكمال النقص بالدراسات الأصولية الطبيعية والاهتمام في مادته على العلوم الأصولية مع العودة إلى توظيف الجغرافية للأغراض النافعة واستقرار الإقليمية استقرارا نهائيا في صميم الجغرافية .

٥- **المدة المعاصرة(١٩٨٠- وما بعدها)**[٥٤] : وقد ظهر العيد من المناهج والدراسات المتعددة التي شملت الدراسات الفكرية والتي تؤكد على الاهتمام بالجانب الفكري للجغرافية ، بالإضافة إلى الدراسات العامة التي تؤكد على ضرورة دراسة الظواهر البشرية وهي لا تعني بالأفكار العامة التي يمكن إن تنطبق على جميع الظواهر ، فانه بالإمكان إرساء قواعد توضح العلاقات بين الظاهرة مدار البحث بين الظواهر الأخرى التي لها أهمية جغرافية ، ناهيك عن الدراسات الإقليمية التي تعنى بدراسة جزء من سطح الأرض دراسة معمقة وقد تكون المنطقة التي تدرس قارة أو اقل .

لقد تأكدت عودة الجغرافية المعاصرة إلى أصولها الإقليمية القديمة من خلال مؤتمر اتحاد الجغرافيين الأمريكيين الثامن والثمانين الذي انعقد في(ساندي يجو)بولاية(كاليفورنيا)في نيسان(١٩٩٢)ذلك المؤتمر الذي كان بمثابة مرآة تحليلية عاكسة لكثير من الإحداث الجارية في عالم الجغرافية ليس على المستوى الأمريكي المحلي أو الغربي فقط وإنما على المستوى العالم اجمع ، لقد كانت جلسات المؤتمر بمثابة النبض الجغرافي الدولي الحي لكل أحداث الجغرافية وكان شغل المؤتمرين الشاغل هو محاولة لتفسير

الجغرافية التفسير العلمي الدقيق من خلا أبراز الإبعاد المكانية لها ومحاولة إبراز خلفياتها الجغرافية وربما استشراف تداعياتها المستقبلية المنظورة القريبة والمحتملة البعيدة ، وكان من بين أهم أصداء المؤتمر التي ترددت في قاعاته هو توقيع ميلاد جغرافية جديدة تواكب كل التغيرات وتستوعبها وتحاول إن تعبر عنها شرحا وتفسيرا وتحليلا وهي الجغرافية الإقليمية ، التي وجد أنصارها الفرصة سانحة لإعادة الثقة ولامان لمفاهيمهم العريقة في مبادئ التحليل الإقليمي وأدواته(٥٥).وجدير بالذكر إنه وفي ضل الجغرافية المعاصرة استخلص الجغرافيون عدد من الخصائص المميزة لها ، ويمكن عرض بعضها في الإيجاز الأتي(٥٦).

١- **البينية** : إي بمعنى إن الجغرافية هي همزة الوصل بين الأرض والإنسان ، وهمزة الوصل بين العلوم الطبيعية والبشرية ، فهي تخدم كافة العلوم كالجيولوجيا والاقتصاد والفلك والاجتماع والتاريخ والفيزياء والطب من جهة ، كما انه إي الجغرافي بتلك العلوم بقدر حاجته منها .

٢- **الشمولية** : فالجغرافي وحده دون غيره ينفرد بدراسة الحقائق والعلاقات مجتمعة في إطار المكان ولا يصطدم بالحواجز الظاهرية المصنعة التي تضعها العلوم الأخرى ، فتعمل الدراسة الجغرافية على إذابتها وإزالتها قدر المستطاع فتعد تعبيرا صادقا عن العلوم المندمجة المتكاملة .

٣- **التكاملية** : إذ يتكامل فرعا الجغرافية(الطبيعي والبشري)فينظر للعلاقة بين الإنسان وبيئته نظرة تكاملية تقيها من إن تصبح كما كانت في العصور الوسطى مجرد أشتاتا من معارف مجزاة غير مترابطة.

٤- **الدينامية** : فالجغرافية المعاصرة تهتم بدراسة الظواهر المتغيرة للبيئة والإنسان والتي تتصف بالتغير والتطور من وقت إلى أخر فتربط بين أبعاد الزمن الثلاثة الماضي عند البحث عن أسباب الظواهر و الحاضر عند رصد ووصف تأثيرها والمستقبل عند اقتراح أفضل السبل للاستفادة منها في خدمة المجتمع.

٥- **التركيبية** : فالجغرافي يستند إلى مهارات الجغرافية كي يتشرب ويهضم ويتمثل ثم يفرز ويشكل الجديد من الأفكار والأنماط فهو يقرأ كل شيء ولكنه ينتج جغرافية فقط .

٦- **المستقبلية** : إذ يتزايد اهتمام الجغرافي المعاصر باستشراف مستقبل الظاهرة الجغرافية المدروسة في محاولة للتنبؤ بمصيرها فيتعدى الجغرافي بذلك دراسة توزيع الظاهرات وتحديد ما هو واقع إلى تحديد ما هو امثل لملاقاة المستقبل وتلافي ثغرات الماضي والحاضر .

٧- **الموضوعية** : وظهرت حديثا في كافة مراحل العمل الجغرافي ممثلة في استخدام الأدوات و الأساليب الحديثة مثل التحليل الكمي والرياضي والنمذجة ونظم المعلومات الجغرافية لإبراز النتائج الجغرافية .

٨- **التطبيقية** : وهي احدث الخصائص التي التصقت بالجغرافية المعاصرة بعد النجاح في تطبيق المعارف والمهارات والأساليب الجغرافية في دراسة وحل المشكلات المحلية والعالمية على المستويات البيئية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فأمنت بذلك صفة الفائدة النفعية الوظيفية للفرد والمجتمع .

الخلاصة :

١- إن فكرة الجغرافية الأساسية التي دار حولها البحث الجغرافي منذ القدم أيام نشأته هي وصف سطح الأرض ودراسة وتحليل الخصائص الجغرافية الطبيعية والبشرية وإيجاد العلاقات المتداخلة بينها باعتباره مكان وجود الإنسان ، على أن هذه الفكرة بقيت هي محور الدراسة الجغرافية منذ القدم حتى يومنا هذا.

٢- إن ما أصاب الفكر الجغرافي من تصدع خلال فترات تطوره لم يكن في جوهر الفكرة وإنما فيما يمكن إن تعنيه أو تحتويه هذه الفكرة ، فعند البعض كان سطح الأرض يعني الدرجة الأولى بالظاهرات الطبيعية الموجودة فوقه بينما عند الآخرين كان يعني وجود الإنسان وهذا أدى إلى ظهور ما يبدو أنها(ازدواجية) هذا لا يعني إن الجغرافية تدرس المكان لذاته فالمكان أساسا عدنها مجرد إطار فكري للأشياء وإنما الجغرافية تدرس محتوى ذلك المكان فالجغرافي لا يستطيع إن يدرك الأشياء إلا وهي متحيزة في المكان .

٣- إن الجغرافية أصلا كعلم وبحكم طبيعتها ومناهج وأساليب البحث فيها تعتمد على نتائج دراسات عدة من العلوم الأخرى ، بخلفيات تلك العلوم المختلفة(الطبيعية والبشرية)لذا فان هذا الائتلاف المعقد من المعلومات والبيانات يفرض عليها أيجاد واستخدام أفضل المناهج من اجل التعامل معها والخروج بأفضل النتائج الممكنة ، مما فرض واقع الثنائية أو الازدواجية في بين ما يعرف بـ(الجغرافية الموضوعية العامة)و (الجغرافية الإقليمية الخاصة)على إن الواقع يشير إلى إن هذين المدرستين تمثلان الوحدة والتكامل والسير في الدراسة بخط متوازي لا يمكن لهما التقاطع فطبيعة تناول موضوعاتها تفرض عليها التوحد لا التضاد.

٤- إن التيار الصحيح في الجغرافية هو اعتبار كلتا الظاهرتين(الطبيعية والبشرية)متكاملتين ومتداخلتين مع بعضهما البعض لتكوين مظاهر السطح المختلفة وان أحسن ما يحقق مثل هذه النظرة هو دراسة الموضوع على مستوى المنهج الإقليمي على إن هذا لا يعني نقض المنهج العام في الدراسة ، فكما إن الظاهرات الطبيعية والبشرية متكاملة كذلك المنهجين العام والإقليمي متكاملان إذ إن كلا منها يدي دورا في دراسة وتعزيز الأخر فاغلب الدراسات الجغرافية التي تبدأ بالمنهج العام تنتهي بالإقليمي ، وبالعكس .

٥- لاشك إن هذا اختلاف الجغرافيين المختصين أو حتى المهتمين بها حول أهمية وتباين موضوعاتها داخل أطار محدد متفق عليه لم يكن عملية بسيطة وسهلة ، إلا انه قد فتح الباب واسعا ورحبا أمام كثير منهم على ولوج مشارب ومذاهب في مجالات شتى فساروا في دروب علوم أخرى لم ترتبط بالجغرافية بشيء ما ، مما أدى إلى ربطها بتلك العلوم والتخصصات فكانت معها من أكثر العلوم الديناميكية التي استطاعة مواكبة المتطلبات المتغيرة ومجاراة روح العصر المتمثلة بالأدوات التكنولوجيا الحديثة التي ليس من أخرها تفسير الصور الجوية ، أو الاستشعار عن بعد أو استخدام نظام التموضع العالمي ونظم المعلومات الجغرافية والمعروف اختصاراً بـ(GIS)مما يفسر حقول المعرفة والدراسة العديدة التي تهتم بها وتتخصص فيها على الصعيدين(الطبيعي والبشري)فهي من أكثر العلوم التي تستجيب للتحديث و مطاوعة للتعامل الالكتروني ، فأمست كما يقال ربة ضارةٍ نافعة .

المصادر و الهوامش:

١- باسم عبد العزيز العثمان،مناهج البحث الجغرافي وتطبيقاتها في الجغرافية البشرية،طبعة(١)دار السياب للطباعة والنشر،٢٠٠٩،ص٢٦-٢٧.
٢- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ،عالم الفكر ،المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٧١ ، ص ٤٠٨ .
٣- صفوح خيري ، الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها ، ط (١) ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠، ص٤٢ .
٤- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ، المصدر السابق ، ص ٤١٧- ٤١٨.
٥- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ، المصدر نفسه ، ص ٤٢٠.
٦- محمد صبحي عبد الحكيم ، دراسات في الجغرافية العامة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٨ .
٧- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ، المصدر السابق ، ص٤١٨ – ٤٢٣.
٨- محمد صبحي عبد الحكيم ، دراسات في الجغرافية العامة ، المصدر السابق ، ص ٩.
٩- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، ج (١) ، ترجمة شاكر خصباك ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص٧٠ .
١٠- جريفت تبلور،الجغرافية في القرن العشرين،ترجمة محمد السيد غلاب ومحمد مرسي أبو الليل،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،١٩٧٤،ص.٧٨
١١- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ، المصدر السابق ، ص٤٢٣ – ٤٢٤.
١٢- محمد صبحي عبد الحكيم ، دراسات في الجغرافية العامة ، المصدر السابق ، ص ٨ – ٩.
١٣- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، مصدر السابق ، ص ٧١ .
١٤- صبري فارس إلهيتي،الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه ،ط(١)،دار الصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ، ٢٠٠٥، ص١١.
١٥- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، ص ١٢٠ .
١٦- محمد صبحي عبد الحكيم ، دراسات في الجغرافية العامة ، مصدر السابق ، ص ٩.
١٧ صبري فارس إلهيتي ، الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه ، مصدر السابق ، ص ١٠٤.
١٨- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ، مصدر سابق ، ص٤٢٥ .
١٩- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ، المصدر نفسه ، ص٤٢٦ .
٢٠- جريفت تبلور ، الجغرافية في القرن العشرين ، مصدر سابق ، ص ٥٣ .
٢١- محمد صبحي عبد الحكيم ، دراسات في الجغرافية العامة ، المصدر السابق ، ص ١٠.
٢٢- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، مصدر السابق ، ص ١٣٥ .
٢٣- يسري الجوهري،الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية،دار المعرفة الجامعية،منشات المعارف الإسكندرية،ط(٣)١٩٧٦،ص٤٧.
٢٤- يسري الجوهري ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .
٢٥- محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع ، القاهرة ،١٩٦٣ ، ص٣٥ .
٢٦- يسري الجوهري ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، مصدر سابق ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٩١.
٢٧- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، ج (٢) ، ترجمة شاكر خصباك ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٣٢٧ .
٢٨- فيدال دي الابلاش ، الجغرافية البشرية ، ترجمة شاكر خصباك ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٩٤.
٢٩- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، ج (٢) ، مصدر السابق ، ص ٣٣٠ – ٣٣١ .
٣٠- حسن طه نجم ، دراسة في الفكر الجغرافي ، مصدر سابق ، ص٤٣١ .
٣١- ت – و ، فريمان ، الجغرافية في مائة عام ، ترجمة عبد العزيز طريح شرف ، أفاق عربية ، بغداد ، (د- ت) ، ص ٦٩ .
٣٢- محمد سيد نصر ، تطور علم الجغرافية وفضل العرب فيه ، مرآة العلوم الاجتماعية ، العدد(١) ، ١٩٦١ ، ص ١١ - ١٢ .
٣٣- محمد سامي عسل ، الإقليم وفكرة الإقليمية ، مكتبة الانكلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص٤ .
٣٤- محمد محمد سطيحه ، الجغرافية الإقليمية ، ط(٢) ، مكتبة الخرجي ، الرياض ، ١٩٨٧ ، ص٣٠ .
٣٥- احمد محمد عبد العال،جغرافية التنمية مفهومها وإبعادها،المجلة العلمية لكلية الآداب،جامعة آلمينا،المجلد(٩)،١٩٩١،ص١١٦.
٣٦- محمد سامي عسل ، الإقليم وفكرة الإقليمية ، مصدر سابق ، ص١٨ .
٣٧- روجر منشل ،تطور الجغرافية الحديثة،ترجمة محمد السيد غلاب،دولت صادق،ط(١)،مكتبة الانكلو المصرية،القاهرة ،١٩٨٣،ص٥٤.
٣٨- ت – و ، فريمان ، الجغرافية في مائة عام ، ترجمة عبد العزيز طريح شرف ، مصدر سابق ، ص١٥٧ .
٣٩- احمد محمد عبد العال ، دراسات في الفكر الجغرافي ، بحث منشور على شبكة الانترنيت ، ٢٠٠٦ ، ص٤١-٤٢.
٤٠- احمد محمد عبد العال ، جغرافية التنمية مفهومها وإبعادها ، مصدر سابق ، ص١٠٧ .
41- Aleve , E ,Regionalization of A county For Regional Planning ,Op, Cit ,p 147-148 .
٤٢- ت – و ، فريمان ، الجغرافية في مائة عام ، ترجمة عبد العزيز طريح شرف ، مصدر سابق ، ص١٣٧- ١٥٨ .
٤٣- محمد محمود الديب ، ، الجغرافية الاقتصادية ، ط(٦) ، مكتبة الانكلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص.١٣
٤٤- محمد محمد سطيحه ، الجغرافية الإقليمية ، مصدر سابق ، ص٢٧ .
٤٥- ت – و ، فريمان ، الجغرافية في مائة عام ، ترجمة عبد العزيز طريح شرف ، مصدر سابق ، ص١٣٣-١٦٠- ١٦٩ .
٤٦- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، ج (٢) ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ – ١٣٨.
٤٧- احمد محمد عبد العال ، دراسات في الفكر الجغرافي ، مصدر سابق ، ص٤٠.
٤٨- احمد محمد عبد العال ، دراسات في الفكر الجغرافي ، المصدر نفسه ، ص٣٨- ٣٩.
٤٩- محمدعلى عمرالفرا،التنظير في الفكر الجغرافي الحديث،قسم الجغرافية،جامعة الكويت،نشرة رقم(١٣٩)يوليو،١٩٩٠،ص١٨.
٥٠- روجر منشل ، تطور الجغرافية الحديثة ، ترجمة محمد السيد غلاب ، دولت صادق ، مصدر سابق ، ص٣٤.
٥١- محمد سامي عسل ، الإقليم وفكرة الإقليمية ، مصدر سابق ، ص١٨ .
٥٢- ريتشارد هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، ج (٢) ، مصدر سابق ، ص ٣٥.
٥٣- عماد مطير الشمري،الفكر الجغرافي المنابع والأصول والمستقبل والمأمول،ط(١)مطبعة الأيك،بغداد ،٢٠١٢،ص١٤٤- ١٤٨.
٥٤- صبري فارس إلهيتي ، الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه ، مصدر السابق ، ص ١٠٤.
٥٥- صفوح خيري ، الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها ، ط(١) ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ ، ص٦٠.
٥٦- عماد مطير الشمري ، الفكر الجغرافي المنابع والأصول والمستقبل والمأمول ، مصدر سابق ، ص ١٥٨- ١٦٠.